من شؤون المسلمين والعالم

اتجاه الريح في قضية فلسطين

تواجه قضيّة فلسطين في الوقت الحاضر مرحلة خطيرة أخرى على طريق محاولات التصفية ، يمكن استقراء بعـــض الخطوات القريبة المتوقعّة فيها من خلال عدد من المؤتمرات القائمة حالياً على ساحتها .. وأهمّها :

المؤشّر الأوّل ما يجري حالياً على يدي الحاكم بأمره في مصر الأبيّة .. فلطالما خطب وصرّح وأعلن يوم وقّع مـــع شريكيه على اتفاقيات كامب ديفيد ، أنه (لا يمكن بحال من الأحوال الفصل بين قضية السلام بين مصر وإســـرائيل ، وقضية السلام الشامل .. وأوّله الحكم الذاتي لرفع المعاناة من أبناء فلسطين) .. وكان يحاول بذلك تبرير تخلّيـــه .. أو بتعبير أصحّ وأوضح : خيانته للأرض المحتلّة عام ٤٨م وعام ٦٧م على السواء .. ولمصر معها ومن قبلها

وفي هذه الأيام يصرّح بما قام به بالفعل ، بسلوكه طريق ما أسماه (تطبيع العلاقات) إلى مداه ، ثقافياً ، وفكريـــاً ، واجتماعياً ، وتجارياً ، ودبلوماسياً ، وقنصليا .. بل وعلى مستويات الملاحة المدنية بأصنافها ، وتبادل الودّ والزيارات والهدايا الشخصية وغير الشخصية ، والسياحة والرياضة .. هذا كلّه في الوقت الذي لم يعد يخفى فيه على مبصر ، أنّه فشل فشلاً ذريعاً في الحصول حتى على (ورقة التوت) التي أسماها (حكماً ذاتياً) ، وحدّدت نصوص الاتفاقيات بنودها : إدارة ذاتية محدودة الصلاحية والأشخاص والمجال .. مقيّدة التصرّف سلفا

و لم يبق من (ورقة التوت) إلاّ قنابل تلقى في جنوب لبنان ، وأراض تضمّ في كلّ مكان ، ورشاشات توجّـــه إلى الطلبة والتلاميذ شباباً وشابات في بير زيت وبيت لحم ورام الله وسواها -كما يجري في هذه الأيام-

ويلتقي نداء الرفض الصامد من قلب فلسطين مع نداء الرفض والتحدّي للطلبة الإسلاميين في جامعة أســـيوط ، ضدّ سياسته وضدّ وجوده .. وهو يحاول أن يبني حول جامعة أسيوط (سوراً من الحجارة) ، وكأنّه يريد أن يرفع به رمزاً للجدار الذي أقامه بينه وبين شعب مصر المسلم يوم وجّه معوله -كما قال- لضرب الجدار النفساني الحاجز بين مصر واليهود الغاصبين

ولهذا المؤشّر ما يكمله ، بدءاً من محاولات التفاهم مع بديل عن (بيجن) وكأنّ بقية اليهود ليسوا يهـــودا .. إلى محاولة التلاؤم مع (ريجان) من بعد (كارتر) ، وكأنّ الجديد أقلّ قدرة على التمثيل من القديم .. وتبقى النتيجة من هذا المؤتمر الأوّل في أن المرحلة القادمة ستشهد تركيزاً كبيراً على تثبيت ما تمّ تنفيذه من مشروع كامب ديفيد لإبقاء مصر

خارج معركةٍ مصيريةٍ لا حلّ لقضية فلسطين المصيرية دون خوضها .. عاجلاً أو آجلا .. ولكن يبقى هذا هدفاً ثانياً في مخطّط كامب ديفيد ، الهدف الأوّل والأكبر هو (إخضاع مصر نفسها) بتسويد الوجه الأمريكي فيها ، طـــائرات وجنوداً ، مناورات و(تسهيلات دون قواعد!) ، وحركة التغريب بدءاً بطريقة عمل جهاز المخـــابرات الرهيـــب ، وانتهاء بألوان الأفلام والمسرحيات والحفلات .. الهدف الأوّل والأكبر هو (مصر) ومن وراء مصر مجموع المنطقة .. والضمان عندهم في تحقيق الهدفين على السواء هو هذا الوجود الأمريكي المباشر ، مع الاستبداد إلى درجة الاستعباد ، ومع استمرار انهيار الأوضاع الاقتصادية ليبقى الانشغال بقضية الحرمان شاغلاً عن كلّ قضية

أمّا الضمان لفشلهم فهو شعب مصر .. وسيرون بإذن الله منه ما لا يحسبون له حساباً ، ولا يعلمون منه مخرجا

أمّا المؤشّر الثاني لاتجاه الريح في قضية فلسطين فهو مؤشّر قديم جديد ، قائم على الساحة العربية منذ قامت قضية فلسطين .. في سياسة حكام تتبدّل تحالفاتهم ومحاورهم بتبدّل المصالح الآنية لأنظمة حكمهم ، وتدور وتدور لتتخذ في كلّ مرحلة (صورة تشيكيلية) أخرى ، في إطار العملية المتبادلة للتداخل والتصادم ، بين فلكي التبعية للغرب والتبعيـــة للشرق

وما كانت صور (اجتماع كلمة حكام العرب) الاستعراضية ما بين الخرطوم والرباط وبغداد .. إلاّ صوراً لاحقة لنكبة حلّت ، وأثارت النقمة (ما بين المحيط الهادر والخليج الثائر) ، فجاءت القمة لتمتصّ النقمة ، ثمّ ما تلبث الأمور أن تعود إلى (مجاريها) ، والعلاقات إلى حالتها (الاعتيادية) .. تداخلاً وتصادماً بين فلكي التبعيـــة ، حـــسب تبـــدّل المصالح الآنية ، المحلية أو الدولية .. وهذه السياسة أو السياسات هي التي تحمل مسؤولية صناعة النكبة الجديدة التالية لكلّ مرحلة من تلك المراحل ، وهي التي تحمل الآن المسؤولية وقد عادت الأمور من جديد إلى (مجاريها الاعتيادية) ، ما بين قطع علاقات ووصلها ، وعقد مؤتمراتٍ الخلافُ فيها على جدول الأعمال و(ألوان الكراسي) .. والـــضربات الجانبية التي يوجّهها كلّ منهم إلى الآخر ما سنحت له الفرصة لذلك

المؤشر الثاني في قضية فلسطين هذه الأيام ، أنّ لكلّ من هؤلاء المتحدثين عن قضية فلسطين قضيةً أخرى سواها ، فهذا لا يرى طريقاً إلى التجارة بالقضية غير طريق موسكو والتحالف معها وجلب خبراها إلى مخابراته وشرطة بطشه، وذاك لا يرى سبيلاً لخدمة القضية إلاّ بعد معرفة من الذي سيختاره شعب أمريكا رئيساً لأمريكا وأتباعها .. وذلـــك يدير لفلسطين وقضيتها وساحلها وضفتها ظهره ويمدّ يديه وقدميه نحو الخليج ، ورابع يرى في حرب الصحراء ما يغني عن كلّ جهاد ، وخامس يرى التفاهم مع الحبشة ما يكفي لإلحاق إرتيريا بفلسطين ..

ما كان هذا الانشغال أو التشاغل بقضايا ترفع من دون قضية فلسطين إلى مستوى (المـــصيرية .. والوطنيـــة .. والقومية .. والأمنية .. والإنسانية) .. إلاّ تمهيداً لكارثة جديدة ، يقدّمون لها (المواد الخام) كما هي حـــالهم علـــى

الدوام .. وتصنع الصهيونية ممّا يقدّمون ما تشاء هي ، مع تصدير بعض ما تنتجه إليهم من جديد ، يدفعون ثمنه غاليا .. غاليا .. غالياً ، ولكن من دماء الشعوب وجيوبها

أهؤلاء .. هم الجادّون في خدمة القضية ؟..

إنّ الذين يتحالفون مع موسكو في العام الذي تصدّر فيه موسكو من المهاجرين اليهود السوفييت ضعف ما صدّرته في العام السابق .. إنّما يتحالفون مع حلفاء (إسرائيل) الحريصين على بقائها حرصاً أكبر بكثير حتى من حرصهم على بقاء أنظمة حكم (عربية) تتحالف معهم ..

وإنّ الذين يتحالفون مع أمريكا ألوان التحالف ويرون مصير الأمّة وقضاياها معلّقاً بنتائج انتخابات الرئاسة الأمريكية .. إنّما يتحالفون مع حلفاء (إسرائيل) الحريصين على بقائها ونمائها حرصاً أكبر بكثير حتى من حرصهم على بقاء تلك الأنظمة (العربية) التابعة لهم

أهؤلاء .. هم الجادّون في خدمة القضية ؟ ..

سياسة المحاور التي صنعت من قبل النكبات ، وقد عادوا إلى جعلها في المقدّمة –وما فارقوها من قبل فراقاً حقيقياً كاملاً– إنّما تمثّل المؤشّر الثاني في ساحة قضية فلسطين هذه الأيام ، ولكنّه مؤشّر على اتجاه ريحهم هم .. وهناك مؤشّر ثالث يدفعه من يملك مقاليد الحكم في بلادنا عن نفسه كما يدفع الكابوس الرهيب .. مؤشّر لا تصنعه اعتبارات (سياستهم الواقعية) ، ولا يقاس بمقاييس درجات التبعية ، إنّما يفجّر تلك الاعتبارات والمقاييس ، ولهذا فهم يخشونه ..

تكفي نظرة مقارنة واحدة إلى بلدٍ عربيّ مسلم ، يسوسه حكم غربيّ الاتجاه ربط نفسه بأمريكا ألوان الارتباط ، والإعلام فيه موجّه مقيد .. ومع ذلك ترى الإعلام فيه يقرّ إقراراً واضحاً بأنّ أمريكا عدوّة العرب والمسلمين ، وعدوّة قضية فلسطين ! ..

وتكفي نظرة أخرى إلى بلد عربي مسلم ، يحكمه حكم شرقيّ الاتجاه ، ربط نفسه بروسيا بألوان المعاهدات .. لا يجهل أحد تقتيله للمسلمين ، و لم يعد يخفى على أحد تجارته بقضية فلسطين .. ومع ذلك تراه أحرص ما يكون على ادّعاء خدمة القضية ، بل وعلى ادّعاء (خدمة الإسلام) ! ..

إنّ هؤلاء وهؤلاء من الحكام يعلمون أنّ الشعوب المسلمة المنكوبة بحكمهم وتبعياتهم لم تتغيّر .. جهود عشرات السنين لتغريبها أو مركستها لم تحرفها .. الاستبداد والقهر والتضليل السياسي والإعلامي لم تبدّل ثباتها على أهداف أصيلة باقية

في قضية فلسطين يبقى هدف المخلصين هو التحرير الكامل واستعادة الأرض المباركة السليبة .. ولهذا ترى كـــلّ متاجر بالقضية أو منشغل عنها بقضاياه الجانبية مضطّراً ليبقى في الحكم إلى ادّعاء خدمة القضية (إعلاميا) ..

يبقى إدراك المخلصين لحقيقة عداء أمريكا لقضايانا فترى كلّ تابع لواشنطون مضطراً لتجنيد من يشتم واشنطون داخل بلده خداعاً ، وواشنطون تعلم ظروفه وتقدّرها وتتركه يشتم ما يشاء ما دام يسلّمها الأرض والسماء .. والمال والمصير في (سياسته الواقعية) ..

يبقى إدراك المخلصين لحقيقة عداء روسيا لقضايانا فترى كلّ تابع لموسكو مضطراً لتأكيد (عدم انحيازه) وهو في حضن موسكو ، و(عروبته وإسلامه) وهو يبيع العرب والمسلمين معاً بخبراء المخابرات يعينونه على البطش والتنكيـــل والبقاء في الحكم

في قضية فلسطين وسائر القضايا المصيرية يبقى المؤتمر الثالث القائم في هذه المرحلة بالذات هو (الإسلام) .. يعلم ذلك أتباع الغرب فيحاولون تمديد فترة بقائهم في الحكم بصناعة (إسلام أمريكي) وما يخدعون به إلاّ أنفسهم ، ويعلم ذلك أتباع الشرق فيحاولون تمديد فترة بقائهم في الحكم بصناعة (إسلام سوفييتي) وما يضلّون بـــه إلاّ أنفـــسهم .. فمؤشر الإسلام المنـــزّل الذي يحاولون لفت الأنظار والقلوب عنه لا يصنع في مؤتمرات ، ولا يصدر عـــن عنـــاوين ولافتات مزيّفة ، ولا يقبل برايات تحمل اسمه وترتفع إلى العلاء .. ولكن تحت مظلّة أمريكية أو روسية ، وليس يرى في ترقيعات هنا وهناك يقال إنّها مستمدّة من الإسلام وهي بفصلها عنه وتطبيقها على طريقة أنظمة الحكم القائمـــة جزء منها وممّن تتبع لهم في الشرق والغرب .. إنّ مؤشّر الإسلام المنـــزّل ، البيّن في هذه المرحلة بالذات يولد متفجّراً ويصنع بالدماء .. وإنّهم ليرونه على هذه الحال ، يظهر ويمتدّ من حيث لا يحسبون ، وإلى حيث لا يتوقعون .. يرونه في جامعات مصر حيناً ، وأمام الرشاشات الإسرائيلية حيناً آخر .. يرونه في شوارع سورية وسجونها ، وفي جبـــال أفغانستان ومدنها .. يرونه في الفيلبين وارتيريا كما يرونه في كلّ مكان حول فلسطين ..

يعلمون .. أنّ هذا الإسلام يولّد قوى متفجّرة تخرق المظلّتين الروسية والأمريكية فوق رؤوسهم معـــا .. وأنّهـــم بمقاييس سياستهم (الواقعية) عاجزون عن التقدير أين تنفجر بهم الأوضاع ، وأين تبدأ معركة الجهاد الحقيقي لتحرير المسلمين وأرض المسلمين

يعلمون أنّهم هم بأنظمة حكمهم وبسياستهم في أودية شرقية وغربية ، وأنّ شباب هذا الجيـــل في واد آخـــر .. يبصر صراطه المستقيم من دون سبلهم المتفرّقة ، ويعتمد على الله وهو وليّ المؤمنين يخرجهم من الظلمات إلى النور .. وسيسير على هذا الصراط المستقيم بعقيدته وعمله ، وجهاده وصبره ، وتضحيته وبذله .. حتى يتحقق نصر الله مـــتى شاء ، قد وعد من آمن وعمل صالحاً وجاهد في سبيل الله بالنصر .. ولا رادّ لحكمه ، يومئذ يفرح المؤمنون بنـــصر الله ، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون